

الدرس الستون: التصديق بموعودات الله ورسوله للمؤمنين في الدنيا

والأخرى

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع موعودات رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم ☺. أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ☺ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ - أي الفقر -، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ فَطَعَّ السَّبِيلَ فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ - أي بلد مجاورة للكوفة -؟ - قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أَتَيْتُ عَنْهَا قَالَ: "فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِيَنَّ الظَّعِينَةَ - أي المرأة المسافرة بمفردها - تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ - قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَارُ - أي قطاع الطرق - طَيِّئِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ - أي أشعلوا فيها نار الفتنة !!- وَلَسِنِ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى - قُلْتُ: كِسْرَى بِنَ هُرْمُزٍ؟ قَالَ: "كِسْرَى بِنَ هُرْمُزٍ، وَلَسِنِ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَقْفِيَنَّ اللَّهُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَّمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيَبْلُغَنَّكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَنِ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنِ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ - قَالَ عَدِيُّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ - قَالَ عَدِيُّ: فَرَأَيْتَ الظَّعِينَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنَ هُرْمُزٍ، وَلَسِنِ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرُونَنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ

معاشر الإخوة، هذا الإله العظيم يبشركم في كتابه فيقول: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47]، هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة!! والله لو تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت!!

هذا الإله القادر المقتدر يتعهد بنصر المؤمنين، ويجعله حقاً عليه سبحانه، ليس هذا نصراً في الآخرة فقط بدخول الجنة، ولكنه نصر في الدنيا كذلك، قال سبحانه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: 51]، هكذا الوعد: نصر في الدارين، في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، إن كان هناك مؤمنون، فلا بد لهم من نصر، هكذا وعد، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، واستمعوا إلى قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)} [النور: 55].

فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه، كان الاستخلاف في الأرض، وكان التمكين للدين وكان الأمن بعد الخوف.

أيها المسلمون المعتزون برسولهم صلى الله عليه وسلم: ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحببيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ثوبان ☺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ زَوْيَ لِي الْأَرْضِ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي زَوْيَ لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مَلِكَ أُمَّتِي سَيَبُغُ مَا زَوْيَ لِي مِنْهَا وَأَعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ - أي كنوز الروم - وَالْأَبْيَضَ - أي كنوز فارس - .. (2) - نعم يا إخواني، سيبليغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها، بكل ما تحمله الكلمة من معان، ألم تسمعوا إلى قول مرشدكم وقدوتكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول في

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 3400.

(2) (صحيح) أخرجه (حم م د ت هـ) وصححه الألباني في ص. ج 1773.

الحديث الذي رواه تميم الدّاري ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لَيَلُغَنَّ هذا الأَمْرُ - أي الإسلام - ما بَلَغَ الليلُ والنَّهارُ - أي كل الأرض -، ولا يَثْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدْرَ - أي بيوت المدن - ولا وَبَرَ - أي بيوت البادية - إلا أَدْخَلَهُ اللهُ هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإسلامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ" (1).

ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني عن أبي قبيل قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ الْعَاصِ ❁ وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةٌ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُوبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا، فَسُئِلَ رُومِيَّةٌ أَوْ قُسْطَنْطِينِيَّةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةً" (2).

والقسطنطينية هي عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهي إستانبول الآن، ورومية هي روما، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية، وكانتنا معاقل النصرانية في العالم، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون منه صلى الله عليه وسلم أن هاتين المدينتين ستفتحان، لكن يسألون أي المدينتين تفتح أولاً فبشر رسول الله بفتح القسطنطينية أولاً، وقد كان وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة!!.. وبالضبط في 20 جمادى الأولى سنة 857 هجرية، على يد الفتى العثماني المجاهد محمد الفاتح رحمه الله، وستحدث البشارة الثانية لا محالة، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى. ولي على هذا الحديث تعليقان:

التعليق الأول: هو أن بعض العلماء يعتقدون أن فتح رومية (أو روما) سيكون بالدعوة إلى الإسلام وبإنشاء المراكز الإسلامية والمساجد فقط،

(1) (صحيح) أخرجه (حب) وصححه الألباني في س.ص 3.

(2) (صحيح) أخرجه (حم دارمي ش) وصححه الألباني في س.ص 4.

ويستبعدون الفتح عن طريق الجهاد، والحق أن الحديث لم يشر إلى ذلك، بل أرى أن قصر تفسير فتح رومية على الدعوة دون الجهاد هو نوع من الهزيمة النفسية، فالذي يقول ذلك لا يتخيل أنه بالإمكان أن يحرك المسلمون جيشاً لإيطاليا، فلتكن الدعوة إذن هي التفسير للحديث!.. لكن على العكس من ذلك.. فإن سياق الحديث يوحي بأن الفتح سيكون جهاداً، ولذلك جمعت مع القسطنطينية في حديث واحد، ولتعلمن نبأه بعد حين!!..

التعليق الثاني: هو أن محمد الفاتح رحمه الله كان يعد العدة، ويجهز الجيوش فعلاً لفتح رومية وذلك لاستكمال تحقيق البشارة النبوية، لكنه لم يوفق لذلك، والحق قد تعجبون من قلبي هذا: أنني قد سعدت بل وحمدت الله على أنه لم يتم له فتح رومية!!.. لماذا؟! ذلك حتى تبقى بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث الأمل في نفوسنا، وحتى يبقى لنا شيء نفتحه (9).

بل وهناك الكثير من المبشرات القرآنية والمبشرات النبوية لا يتسع المقام هنا لذكرها، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كتاب (هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة لنفس المؤلف)، ومن البشارات النبوية البشارة بقتال أعداء الإسلام وانتصار المسلمين عليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ" (1).

فالاستعلاء اليهودي في الأرض لن يدوم، ووعد الله متحقق لا محالة؛ لأن الله لا يخلف وعده، والمعركة الفاصلة التي يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين واليهود واقعة بإذن الله، وسيعود اليهود إلى وضعهم الطبيعي الذي كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة وغضب من الله فقد توفرت فيهم أسباب الاندحار والهزيمة، وسينجز الله للأمة وعده يوم أن يتوفر فيها أسباب النصر، ولمزيد من المبشرات يمكن الرجوع لكتاب

(1) (صحيح) أخرجه (م) 2922.

(هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *